الأنساق الثقافية في رسائل القاضي الفاضل

Cultural patterns in the letters of Judge Al-Fadil

م. د. حسام الدين فلاح محمود
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية
Dhsamaldlymy@gmail.com

المقدمة

إذا كانت البلاغة تاج البيان، والفكر جوهر الحكمة، فإن القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني كان حاملاً لهذا التاج، متوشحًا بوشاح الحكمة، فقد كان قلمُه مصباحًا يضيء دياجير السياسة، ولسانُه ميزانًا ترجح به كفّة العدل، ورسائله سطورًا تنبض بالحكمة والتدبير. عاش في زمنٍ تتقاذفه أمواج الصراعات، وتتصارع فيه القوى على مقاليد الحكم، فكان قلمه سيفًا يُجيد تصويب الضربات، كما كان فكرُه حصنًا يحتمي به الملوك والسلاطين، لا بالسلاح وحده، بل بالكلمة التي كانت أشد وقعًا من النصال.

لقد حملت كتاباته في طياتها أنساقًا ثقافيةً متداخلةً، تُعبر عن رؤيته العميقة للمجتمع والسياسة والدين، فكان خطابه متماهياً مع الأنساق الدينية التي استمدت جذورها من القرآن والسنة، متخذًا من القيم الإسلامية منطلقًا في خطاباته للملوك والسلاطين، يستلهم منها دروس العدل والتقوى، ويزينها بعذب البيان وفصيح الكلام. أما النسق السياسي، فقد تجلى في نصوصه التي خاطب بها الحكام، فنصح ووجه، وأرشد وحذّر، بأسلوب يجمع بين اللين والصرامة، مُستعينًا بمخزون معرفي هائل من التجارب والتاريخ.

وأما النسق الاجتماعي، فقد كان القاضي الفاضل مدركًا لحركة المجتمع وتبدلاته، واعيًا بطبيعة الطبقات المختلفة فيه، فكان خطابه يتسم بالوعي العميق بالموروث الثقافي والتقاليد السائدة، مؤسسًا لمعادلة توازن بين التراث والتجديد، بين الحزم والرحمة، وبين القوة والحكمة. ولم يكن النسق الأدبي بعيدًا عن قلمه، فقد جاد بعباراتٍ تفيض بالصور البلاغية، فكان خطه مزيجًا من جزالة الفصاحة، وعذوبة الشعر، وعمق الفكرة، حتى غدا قلمه سفيرًا بين الحكمة والجمال، وبين السياسة والأدب، وهكذا، ظل القاضي الفاضل مثالًا نادرًا للكُتاب الذين لم يقتصروا على الجمال اللغوي وحده، بل صاغوا من الكلمة أداةً للإصلاح، وجعلوا من الحرف سلاحًا للدولة، فكانت نصوصه مرآةً تعكس أنساق عصره، وتؤرخ لفكرٍ تجاوز حدود زمانه.

لقد اقتضت الدراسة الوقوف على بعض الأنساق الثقافية التي تحملها رسائل القاضي الفاضل وكانت بحسب الآتي:

المبحث الأول: ((الأنساق الثقافية _المفهوم والدلالات والثوابت_))

المبحث الثاني: ((النسق الديني في رسائل القاضي الفاضل))

المبحث الثالث: ((النسق السياسية في رسائل القاضي الفاضل))

المبحث الأول
الأنساق الثقافية - المفهوم والدلالات والثوابت -

إن هذه الأنساق هي منهج الكشف عن القاضي الفاضل عبر البحث في رسائله التي كشفت لنا عن هواجسه الملحة؛ فقد حللت هذه المفاهيم التي أظهرتها الأنساق الثقافية ، وسيأتي بيان مفهوم الأنساق وكانت بحسب الآتي :

- مفهوم الأنساق لغة:

ذكر الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) أنه: ((من الشيء ما كان على نظام واحد عام في الأشياء..، انْتَسَقَتْ هذه الأشياء ببعضها إلى بعض أيْ تَنَسقَتْ)) (١)، وقال أبن منظور(ت٦٣٠هـ): ((النَّسَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: مَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ نِظام وَاحِدٍ، عامٌّ فِي الأَشياء،..وَالنَّحْوِيُّونَ يُسَمُّونَ حُرُوفَ الْعَطْفِ حُرُوفَ النَّسَقِ لأَن الشَّيْءَ إِذَا عطفْت عَلَيْهِ شَيْئًا بَعْدَهُ جَرى مجْرًى وَاحِدًا)) (٢)، وناسق بين أمرين؛ إذ تابع بينهما ولاءم، وكلام نسق : متلائم في نظام واحد(٣)، ومن هذه التعريفات المتعددة لمفهوم النسق يبدو أنّ مفهومه ذو معنى واحد وهو نظام الشيء، وترتيبه على وفق نسق واحد.

- مفهوم الأنساق اصطلاحا:

إن النسق انتظام بنيوي يتناغم وينسجم فيما بينه ليولّد نسقاً، ويصف المجتمع بأنه نسق اجتماعي عام ينتج عنه مجموعة أنساق فرعية انتظمت معه وشكّلتهُ فقيل: ((تولّد عنه نسق سياسي، وآخر اقتصادي، وعلمي وثقافي، تُنسج علاقاتها فيما بينها في مسافات متفاعلة ومتداخلة))(٤)، ويمكن الوقوف عند رأي محمد مفتاح لمصطلح النسق بأنه (انتظام بنيوي)؛ فيلحظ أنَّ البدايات الأولى التي انطلق منها مفهوم النسق تعود للبنيوية، والتي كانت دراستها تتمحور حول النص في إطار نسقه الداخلي؛ فالنسق البنيوي يمثل أحد مظاهر النسق العام؛ فقد يكون هذا النسق مغلقاً كما تطرحهُ البنيوية، أو يكون مفتوحاً كما هو الشأن بالنسبة إلى المناهج النقدية الأخرى مثل: السيميائية، والتأويلية، تبعاً للتصورات التي تقدمها القراءة للنسق، وهي

(١) معجم العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مصر ، د. ط، ج٥ ، ٨٥ .
(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ ، ج١٠، ص ١٧٩ .
(٣) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ، المكتبة الاسلامية اسطنبول ، ج١، ط١ ، د ت،ص ٩١٨، ٩١٩.
(٤) التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية : محمد مفتاح ، المركز العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ١٥٦ .

التي تتحدد طبيعته [١].

وعبر هذه الأنساق يلحظ إنّ النقد الثقافي الذي نشهده في العصر الحديث يختلف اختلافا جذريا عما كان عليه في مراحله الأولى؛ إذ لم يكن في التراث القديم مصطلح «الأنساق الثقافية» متداولًا كمفهوم مستقل، لكن الفكرة كانت موجودة ضمن تصورات الفلاسفة والمفكرين حول الثقافة والمجتمع، ومن أبرز الملامح التي تجسد هذا مفهوم الفكر الفلسفي الذي تناوله الفلاسفة الإغريق، مثل أفلاطون وأرسطو، البنية الفكرية والثقافية للمجتمعات عبر مفاهيم مثل : المدينة الفاضلة، والمنطق، والأخلاق[٢].

وفي الحديث عن النقاد الذين وظفوا مصطلح النسق في المجال الثقافي هو ((ليفي شتراوس)) بوساطة دراسته الانثروبولوجية البنيوية سنة ١٩٥٧م، وكذلك ((فردينان دي سوسير))؛ فهو من أوائل العلماء الذين استعملوا مصطلح النسق في تعريفه للغة التي تمثل لديه نظاماً من العلامات، أو هي نسق من المعلومات، تستعمل للتعبير عن الأفكار كما هو الحال عند نسق الإشارة عند الصم والبكم [٣].

ومما تقدم يظهر أن مصطلح النسق انطلق من البنيوية التي اهتمت بدراسة النص وعدتهُ نسقاً مغلقاً، بغض النظر عن السياقات التي ساعدت في إنتاج هذهِ النصوص، وقد برز نقاد ما بعد البنيوية؛ فأولوا الاهتمام بالسياقات الخارجية للنصوص عن طريق المناهج الأخرى التي تهتم بالنسق، واكسابهِ معنى جديد مع النقد الثقافي، الذي اعتمد النقد فيه على النسقية.

وفي التراث العربي الإسلامي تجدها في الفكر الإسلامي؛ إذ يلحظ اهتمامًا واضحًا بأنساق الثقافة عبر مفهوم الأمة، والشريعة، والأعراف، والتي كانت تشكل أنظمة ثقافية متكاملة تؤثر في تشكيل الوعي والسلوك، وكان للأدب واللغة دور كبير في تشكيل الأنساق الثقافية؛ اذ ارتبطت النصوص الأدبية بالقيم السائدة، مثل قيم الفروسية في الشعر الجاهلي، أو القيم الدينية في العصر الإسلامي، وإذا سلطنا الرؤية على علمائنا بشكل عام وتحت هذا المفهوم ؛ فإننا نجد ابن خلدون الذي يُعد النقد الثقافي لديهِ علم موسوعي؛ إذ إحاط في مقدمته من كل علم شيء من المعرفة، هو قريب من حد الثقافة بوجهٍ عام[٤].

(١) ينظر: القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحايثة، أحمد يوسف، منشورات الأختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧، ص ١١٦.

(٢) ينظر: النقد الثقافي _قراءة في الأنساق الثقافية_، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٥، ص ٥٣ .

(٣) ينظر : اللسانيات النشأة والتطوير، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، د.ط ، ٢٠٠٢ ،ص ٤٣ .

(٤) ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨ م.

أما حديثا مفهوم الأنساق الثقافية حديثًا فأصبحت مع تطور الدراسات النقدية والاجتماعية، أكثر تحديدًا؛ إذ يُنظر إليها على أنها مجموعة من القيم والمعتقدات والتصورات التي تتحكم في تشكيل الوعي والسلوك داخل المجتمع، ومن أبرز المفاهيم الحديثة (التحليل الثقافي) الذي ظهر مع النقاد المعاصرين مثل ميشيل فوكو وبيير بورديو؛ إذ أصبح التركيز على تفكيك البنى الثقافية ورؤية تأثير السلطة والخطاب في تشكيل الوعي، أما من العرب المحدثين فإن ظهورهُ الأول كان مع الناقد السعودي (عبد الله الغذامي)؛ وذلك بعد اضافته للوظيفة النسقية على الأنموذج الاتصالي لرومان جاكسبون الذي يتألف كل من (المرسل، والمرسل إليه، والرسالة،والسياق، والشيفرة، والسنن،وقناة الاتصال)[1]، وهذه الوظيفة النسقية التي يؤديها النسق ضمن النموذج الاتصالي، من أجل هذا؛ فإن النسق عند الغذامي: ((مضمر، ولا شعوري ليس في وعي المؤلف، ولا في وعي القارئ، هو مضمر نسقي ثقافي لم يكتبه كاتب فرد، لكنه إن وجد عبر عمليات من التراكم والتواتر، حتى صار نسقاً)) [2]

ومما تقدم كان مفهوم الأنساق الثقافية في الماضي يُفهم ضمن إطار ديني وأخلاقي وفلسفي، أصبح اليوم أكثر ارتباطًا بالتحليل النقدي والتفكيك الاجتماعي، مما جعله أداة فعالة لفهم التطورات الثقافية والتغيرات الفكرية في المجتمعات الحديثة.

وللقاضي الفاضل دور مهم في إثراء الحركة الثقافية في بلاد الشام ومصر والجزيرة إذ كان واسع الاطلاع غني المعرفة؛ فهو على مستوى رفيع من الثقافة والأدب والتمسك بعروة الدين، وكان مجلسه ملتقى العلماء والفقهاء والخطباء والأدباء والشعراء حافلاً بالبحث والتحقيق والمناظرات في مختلف أنواع العلوم، وكان شديد الميل إلى تلك النخب العلمية التي كانت تقصده .

المبحث الثاني

النسق الديني في رسائل القاضي الفاضل

يعد الدين من أهم الثوابت التي يحتاجها المجتمع ليحقق التماسك؛ فإنه يعمل على إشباع الحاجة، ويدعو إلى التماسك والاستقرار في بنية الشخصية الإنسانية والمجتمعية بشكل عام، وإن بمعانيه ومبادئه وقيمه يؤدي دورا أساسيا في تشكيل رؤية المجتمع والإنسان للعالم المحيط به[3]، وبالتالي تعطي هذه المعاني

(١) ينظر : الأنساق الثقافية بين النظرية والتطبيق من منظور عبد الله الغذامي ، بو غديري دليلة ، رسالة ماجستير ، جامع محمد فيض بسكرة – الجزائر ، ٢٠١٩ ،ص ٢٠ .

(٢) النقد الثقافي ، عبد الله الفذامي ،ص ٧١ .

(٣) ينظر: جوانب من حضارة العراق_ العراق في التاريخ_، نخبة من الباحثين العراقيين، دار الحرية ، بغداد، ١٩٨٣م،

للإنسان قيمة أساسية ومحورية في هذه الحياة[1]؛ فإذا ما وجدت نصا دينيا، أو اقتباسا في النصوص الأدبية، أو النقدية أوغيرها فمن المؤكد له خصوصية قدسية عند المبدع؛ وذلك بوصفها مؤثرا فيه، وتجد هذه النصوص تتشكل بحسب السياقات الثقافية؛ مما تجد فيها قناعة الكاتب وإيمانه بها.

لقد كان للدين الإسلامي الأثر البالغ في حياة المجتمع الإسلامي ولاسيما العصر العباسي، فقد عكس في شعرهم ونثرهم؛ إذ تأثر الكثير منهم بالقرآن الكريم واستمدوا منه بعض المعاني والأفكار التي تتلاءم مع الدعوة الإسلامية بشكل عام، كما يلحظ رقة اللفظ والاهتمام بالمضمون الإسلام ، وقد قال أحد الباحثين: ((تميزت هذه المكاتبات الدينية غالبا بصدق الإحساس وتدفق العاطفة الزاخرة بمعاني الورع والزهد، إذ كان منشئو هذا اللون من الرسائل الدينية يتوخون التأثير في نفوس من يكتبون إليهم، فكانت تصدر عن عواطف دينية صادقة))[2].

إن النسق الديني في رسائل القاضي الفاضل [3] يظهر عبر استعماله ألفاظ القرآن الكريم التي تعد مادته في الكتابة، وهذه إشارة إلى التأثر والالتزام الإسلامي، ويبدو أن السبب لهذا التأثر يعود إلى تنشأته _رحمه الله_؛ فمنذ الصغر درس القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكان ذا دين وتقوى حتى نقل عنه بأنه:

ص٦٧.

(١) ينظر: تاريخ الأديان وفلسفتها، طه الهاشمي،دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٣م. ص٣٥.

(٢) الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي،غانم جواد رضا، المكتبة الوطنية، ١٩٧٨م، ص ٢٧٦، ٢٧٧ .

(٣) القاضي الفاضل ، أبو علي ، عبد الرحيم بن علي بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علب بن القاضي السعيد أبي محمد الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج بن أحمد اللخمي البيساني العسقلاني ، ولد في يوم الاثنين الخامس عشر من جمادي الآخرة سنة ٥٢٩ه الثالث من نيسان ١١٣٥م في مدينة عسقلان، من قبيلة لخم عظيمة الجاه كثيرة العدد متعدد المواطن في فلسطين ،وكانت ولادة جده الأكبر القاضي السعيد محمد بن الحسن البيساني عام ١٠٦٧م ببيسان، وعندما اجتاح الفرنج فلسطين واحتلوا القدس نكلوا بأهلها فاضطروا الهجرة إلى عسقلان، وقد انفصل القاضي الفاضل عن أهله ليقيم في مصر سعيا وراء عمله ورزقه ؛ ينظر: الصفدي ، صلاح الدين ، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات ، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م ،ج٦، ص١٢٦؛ وينظر: ابن خلكان ، أبو العباس ، أحمد بن محمد الأربلي ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة بيروت ، ١٩٧٠م، ج٣، ص١٢٨؛ وينظر البغدادي أبو بكر، محمد بن عبد الغني ، تكملة الإكمال، تحقيق : عبد القيوم عبد ريب النبي ، جامعة أم القرى مكة المكرمة ، ط١، ١٣٩٩ه ، ج١، ص٤٣٨، وينظر : الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠١م ، ج٢١، ص٣٣٨؛ وينظر المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ط٢، ج٢،ص٣٦٦.

((كثير العبادة صاحب أوراد من صلاة وصيام، وكان يكثر من قراءة القرآن الكريم))[1]، ولهذا كانت رسائله جزءً من كتاب الله عز وجل، ومن جهة أخرى تجد الإبداع الفني في هذه الرسائل من حيث أسلوبه في الاستدلال بآيات الله؛ لتقوية النص عبر الألفاظ والمعاني التي تعطي دلالات كثيرة للقارئ .

وقيل عنه: قضى سعيدا، ولم يبق عملا صالحا إلا قدمه، ولا عهدا في الجنة إلا أحكمه، ولا عقد بر إلا أبرمه، فإن صنائعه في الرقاب، وأوقافه متجاوزة الحساب، لا سيما أوقافه لفكاك الأسرى، وأعان المالكية والشافعية بالمدرسة، والأيتام بالكتاب، كان للحقوق قاضيا، وفي الحقائق ماضيا، والسلطان له مطيع، ما افتتح الأقاليم إلا بأقاليد آرائه، ومقاليد غناه وغنائه، وكنت من حسناته محسوبا، وإلى آلائه منسوبا، وكانت كتابته كتائب النصر، ويراعته رائعة الدهر، وبراعته بارية للبر، وعبارته نافثة في عقد السحر، وبلاغته للدولة مجملة، وللمملكة مكملة، وللعصر الصلاحي على سائر الأعصار مفضلة، نسخ أساليب القدماء بما أقدمه من الأساليب، وأعربه من الإبداع، ما ألفيته كرر دعاء في مكاتبة، ولا ردد لفظا في مخاطبة))[2].

ولعل ما يسمو إليه القاضي الفاضل هو فتح بلاد المسلمين، وإبعاد الظلم، وهزم الطغاة منها، وهذا ما كان واضحا في أغلب رسائله، وإن الناظر فيها يكاد يجزم بأن المورث الديني قد أخذ الطابع العام فيها، كما تجد فيها بث روح القوة والعطاء في نفوس المجتمع، وكذلك رفع همة الجنود والقادة.

فقد جاء بقلم القاضي الفاضل، مرسال من السلطان صلاح الدين[3] إلى الخليفة المستضيء بنور الله[4]

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ، الطبقة الحادية والثلاثون ، ٣٣٨ص.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٣٨ .
(٣) صلاح الدين الأيوبي(٥٣٢ - ٥٨٩ هـ) يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. كان أبوه وأهله من قرية دُوين (في شرقي أذربيجان) وهم بطن من الروادية، من قبيلة الهذانية، من الأكراد. نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين، وتوفي فيها جده شاذي. ثم ولي أبوه (أيوب) أعمالا في بغداد والموصل ودمشق. ونشأ هو في دمشق، وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، وحدّث في القدس. ودخل مع أبيه (نجم الدين) وعمه (شيركوه) في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (صاحب دمشق وحلب والموصل) واشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر (سنة ٥٥٩ هـ فكانت وقائع ظهرت فيها مزايا صلاح الدين العسكرية. وتم لشيركوه الظفر أخيرا، باسم السلطان نور الدين، فاستولى على زمام الأمور بمصر، واستوزره خليفتها العاضد الفاطمي، ولكن شيركوه ما لبث أن مات. فاختار العاضد للوزارة وقيادة الجيش صلاح الدين، ولقبه بالملك الناصر، ينظر: الأعلام ، الزركلي،ج٨، ص ٢٢٠.
(٤) المستضئ بالله(٥٣٦ - ٥٧٥ هـ = ١١٤٢ - ١١٨٠ م)، الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي العباسي الهاشمي، أبو محمد، المستضئ بالله: خليفة، من العباسيين في العراق.كان جوادا حليما، محبا للعفو، قليل المعاقبة على الذنوب، كريم اليد.بويع بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة ٥٦٦ هـ وصفت له الخلافة تسع سنين وسبعة أشهر، وكانت أيامه مشرقة بالعطاء والعدل. قال ابن شاكر: لما تولى المستضئ بالله نادى برفع المكوس، ورد المظالم الكبيرة، وفرق مالا عظيما، ثم احتجب عن الناس، ولم يركب إلا مع الخدم. وفي أيامه زالت الدولة العبيدية بمصر، وضربت السكة

ببغداد، يبشره بفتح بلد من بلاد النوبة، والنّصرة عليها (٥٦٨هـ) فقال :

- ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١)
- ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٢)
- ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٣)

وصلاةٌ يتبعها تسليم، وكأس يمزجها تسنيم، وذكر من الله سبحانه وتعالى في الملاء الأعلى، ورحمة الله، وبركاته معلومة من النشأة الأولى على مولانا الإمام المستضيء بالله، المستضاء بأنواره، المستضاف بداره الداعي إلى الحق والى طريق مستقيم، الراعي للخلق كما يرعى النسيم النسيم، العام فضله، التام عدله، المطروق مورد فنائه، المصدوق في مورد ثنائه؛ المحقوق من كل ولي بولائه، ابن السادة الغر والقادرة الزهر، والذادة الحمس، والشادة للحق على الأس، سقاة الكوثر وزمزم والسحاب، وولاة الموسم والموقف، والكتاب والموصول الأنساب يوم إذا نفخ في الصور فلا أنساب ، والصابرون على حساب أنفسهم فهم الذين يؤتون أجرهم بغير حساب)) (٤).

يلحظ النسق في هذا النص عبر تأثر القاضي الفاضل بالموروث الديني في هذه النصوص والاقتباسات التي اختارها؛ لتقوية النص والوصول إلى الغاية.

والنسق الديني يظهر في إيراد الآية أن الأرض يرثها المؤمنون(٥) المصلحون من الأمة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر للدلالة على التفضيل والسير على الحق، ولعل هذا التفضيل يذكرنا في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وبالتالي يشير النسق الديني إلى الفرح والنصر بتحقق الفتح.

باسمه، وجاء البشير إلى بغداد، وغلقت الأسواق وعملت القباب، وصنف ابن الجوزي في ذلك كتاب (النصر على مصر) وخطب له بمصر وقراها والشام واليمن وبرقة، ودانت الملوك لطاعت، ينظر: الأعلام ، الزركلي، ج٢، ٢٢٧.

(١) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٢) سورة يس: ٥٨.

(٣) سورة الواقعة : ٨٩.

(٤) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبو شامة ، شهاب الدين،عبد الرحمن بن إسماعيل،الشافعي الدمشقي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط١٩٩٧،١م، ج٢، ص١٩٠، ١٩١، ابن الأثير،أبو الحسن، علي محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت، ج١١ ، ص٣٦٨،ص٣٦٩ .

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط١، – ١٤٢٣ هـ.

وكذلك تجد النسق الديني في فكرة الطاعة لأولي الأمر عبر إطرائه على الخليفة العباسي المستضئ بالله فقال: ((مولانا الإمام المستضيء بالله، المستضاء بأنواره...))، ولعل هذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩]، وكذلك النسق الديني عبر الألفاظ الآتية : (يمزجها تسنيم(١)، الملأ الأعلى(٢)، النشأة الأولى(٣)، ورحمة الله(٤))، وهذه الكلمات التي تحمل دلالات دينية تشير إلى فهم، ودراية الكاتب في إيرادها وتوظيفها في المعنى المراد والنسق الديني.

والمعنى العام للنسق الديني في هذه الرسالة والذي تجد عبره جملة من المعاني الدينية؛ إذ تكمن في السلطات الثلاث (الدينية النفسية والاجتماعية)(٥) التي جمعت في هذه الشخصية _المستضئ بأمر الله_، وكانت بحسب الآتي:

أ. السلطة الدينية: وهي سلطة تحكم جمهورها بالانقياد والتسليم لكل ما تفرضه، وهي تلعب دوراً مهما في المجتمعات المتدينة؛ إذ تؤثر في حياة الأفراد والمجتمع، والسبب يكون بتطبيق النصوص القرآنية عبر القيادة الدينية التي تكمن في شخصية (الخليفة) التي يجب أن تكون ذا مواصفات تنماز عن العوام؛ فقد جاء الجاحظ بنظرية تقول: ((إن العامة لا تصلح لاختيار الإمام لجهلها وغلبة الاهواء عليها، وهذه المهمة ملقاة على عاتق الخاصة التي بوسعها معرفة من يستحق الامامة دون سواه، والامام يفرض نفسه على الناس بسيرته واعماله ومواقفه واقواله، بحيث يدفعهم للاقرار بفضله وتقديمه))(٦)، وقال أبو جعفر المنصور: ((الْخَلِيفَة لَا يصلحه إِلَّا التَّقْوَى، وَالسُّلْطَان لَا يصلحه إِلَّا الطَّاعَة، والرعية لَا يصلحها إِلَّا الْعدْل، وَأولى النَّاس بِالْعَفو أقدرهم على الْعُقُوبَة، وأنقص النَّاس عقلا من ظلم من هُوَ دونه))(٧)، وهذه دلالات من أجل إثبات السلطة الدينية للخليفة، ومن هذه الأنساق الدينية التي توافرت في الخليفة أيضا؛ إذ جاء

(١) مستوحاة من قوله تعالى: ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ ﴾ المطففين: ٢٧
(٢) مستوحاة من قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩ ﴾ ص: ٦٩.
(٣) مستوحاة من قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢ ﴾ الواقعة: ٦٢.
(٤) مستوحاة من قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧ ﴾ آل عمران: ١٠٧.
(٥) ينظر : المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، (د . ط) ، ١٩٨٢، ج١ ، ٦٧٠.
(٦) الرسائل السياسية، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت،د.ط، ص٨.
(٧) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (ت: ٣٩٠هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ، ٢٠٠٥ م، ص٤٢٦.

القاضي الفاضل بها في رسالته :

- قوله: ((وصلاةٌ يتبعها تسليم، وكأس يمزجها تسنيم)): إذ يلحظ أن القاضي الفاضل قد صور حالة من الصفاء الروحي والاتصال بالله لما ينماز بها المستضيء بالله، إذ يرمز التسليم إلى الخضوع والاستسلام لأمر الله، والتسنيم هو عين في الجنة[1]، مما يدل على مكانة الخليفة العباسي عند الله، وهذه رسالة واضحة منه إلى المتلقي بأنه على الحق والصواب لذا يجب الاقتداء به.
- قوله: ((وذكر من الله سبحانه وتعالى في الملاء الأعلى)): يشير القاضي إلى أن المستضيء يحظى بمكانة رفيعة عند الله وملائكته، وأنه مذكور في الملأ الأعلى، وهو عالم الملائكة، وبهذا يظهر النسق الديني بمنحه الثقة؛ لما يتمتع به من مكانة عند الله، وهذه رسالة دينية أخرى.
- قوله: ((ورحمة الله، وبركاته معلومة من النشأة الأولى على مولانا الإمام المستضيء بالله)) : ويظهر الكاتب أن الإمام هو الشخصية المباركة منذ ولادتها، وأن رحمة الله وبركاته تحيط به.
- قوله: ((المستضاء بأنواره، المستضاف بداره)): يصف الخليفة بأنه المنير والمضيء، وأن الناس يستضيئون بأنواره، كما أنه كريم ومضياف، حيث يستقبل الناس في داره.
- قوله: ((الداعي إلى الحق والى طريق مستقيم)): إن الدين الإسلامي يدعو إلى الحق وهو الدين الصحيح، ومن يمثله يدعو الناس إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم الذي يوصلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وهي شخصية تقوم على نشر الدعوة الإسلامية، ولعل فكرة هذا النسق يعود إلى الآية ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٣.
- قوله: الراعي للخلق كما يرعى النسيم النسيم: يصوره القاضي بأنه راعٍ ومسؤول عن رعيته، وانه يرعاهم كما يرعى النسيم، وهو الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ[2]، مما يدل على لطفه ورحمته، وهذه الصورة تذكرنا بحديث رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ : ((كُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))[3]، وكأن القاضي الفاضل يشير إلى التزام الخليفة بهذا النهج.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط١ ، ١٤٢٣ هـ، ج٤، ص٦٢٤.

(٢) ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٩٩٩م، ص٣١٠.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١ م، ج١٠، ١١٠ص.

- قوله: ((سقاة الكوثر وزمزم والسحاب، وولاة الموسم والموقف، والكتاب والموصول الأنساب يوم إذا نفخ في الصور فلا أنساب)): قد وصفه بنسق ديني آخر هو من أهل الكرم والجود، وأنه مسؤول عن سقيا الناس في الدنيا والآخرة، كما أنه من أهل العلم والمعرفة، وأنه موصول النسب بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي صورة ربما تشير إلى صورة لا يمتلكها إلا الخليفة.
- قوله: ((والصابرون على حساب أنفسهم فهم الذين يؤتون أجرهم بغير حساب)): يختتم النص بالحديث عن الصابرين الذين يحتسبون أجرهم عند الله، وهو من هؤلاء الصابرين.
- قوله: ((مملوك العتبات الشريفة وعبدها، ومن اشتمل على خاطره ولاؤها وودّها، وكانت المشاهدة لأنواره العلية التي يودّها، ومن يقرن بفرض الله سبحانه فرضها، ويسابق بطاعته إلى جنة وصفها الله تعالى بقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ﴿١٣٣﴾﴾))[1] يظهر في هذا النص المصطلحات والتعابير الدينية التي تضفي عليه طابعاً دينياً مميزاً؛ فمملوك العتبات الشريفة وعبدها إشارة إلى شدة الخضوع والولاء للمقام الديني، ومن اشتمل على خاطره ولاؤها وودّها دلالة على ان الشخص المذكور يحمل في قلبه محبة وولاء عميقين للدين، وكانت المشاهدة لأنواره العلية التي يودّها تعبير يدل على مكانة دينية رفيعة، ومن يقرن بفرض الله سبحانه فرضها دلالة على الالتزام الشديد بأداء الفرائض، وقوله : (يسابق بطاعته إلى جنة وصفها الله تعالى) وهنا تجد الحرص على فعل الطاعات للفوز بالجنة.

ب. السلطة الشرعية: تشير هذه السلطة إلى الحق في الحكم وإصدار القرارات، والذي يستمد قوتها من الشريعة الإسلامية، ومبدأه العدل والعلم والكفاءة، وهذه المعاني تكمن في:

- قوله: ((العام فضله، التام عدله)): يشير هذا إلى أن فضل الإمام المستضيء عام وشامل، وأن عدله تام وكامل، مما يدل على كمال صفاته.

ج. السلطة النفسية: وفي هذه السلطة يظهر فيها التأثير في أفكار الناس ومشاعرهم وسلوكهم، وهي لا تعتمد على القوة الجسدية أو السلطة الرسمية، بل تستند إلى آليات نفسية معقدة، مثل العاطفة، والإيحاء،وغيرها، وهذه المعاني تكمن في:

- قوله: ((المطروق مورد فنائه، المصدوق في مورد ثنائه)): وهنا أراد إثبات صفة الصدق والثقة لشخصيته عند الناس إذ جاء بها ليبث مقبوليته إلى درجة اليقين، حتى كان له ولاء مطلق من الناس فقال:

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٦، ص٥٠٥.

((المحقوق من كل ولي بولائه))

- قوله: ((المحقوق من كل ولي بولائه)): إذ يحظى بولاء ومحبة كل ولي، مما يدل على مكانته الرفيعة بين الناس.

د. السلطة الاجتماعية: وهذه الأخرى تلعب السلطة الاجتماعية دوراً مهما في تشكيل المجتمع مما يشير إلى القدرة على التأثير في سلوك وتفكير الأفراد والجماعات داخل المجتمع، هذه السلطة لا تقتصر على مراكز القوة الرسمية، بل تتوزع في مختلف العلاقات والتفاعلات الاجتماعية، وهذه المعاني تكمن في:

- قوله: ((ابن السادة الغر والقادرة الزهر، والذادة الحمس، والشادة للحق على الأس)): يظهر في هذا النص ان الخليفة من السادة الأشراف فهو عَبَّاسِي هَاشِمِي قُرَشِي ، وإنه شجاع ومدافع عن الحق، فتتضح السلطة الاجتماعية عبر قناعة المجتمع بمن يتصلون بالنسب الشريف محبة بالرسول العظيم _صلى الله عليه وسلم_، وهذه الفكرة قائمة حتى يومنا هذا.

ومن الأنساق الدينية الأخرى التي جاءت في رسائله منها:

في التوكل على الله والثقة بحكمته:

ويأتي التوكل من باعث الاعتماد القلبي الصادق على الله مع الأخذ بالأسباب والسعي في الأمور التي يستطيع الإنسان القيام بها، مع اليقين بأن النتيجة بيد الله وحده، مماتعكس إيمان العبد بقدرة الله وحكمته ورحمته، ومن هذا النسق الديني قال القاضي الفاضي فقال: ((صنع الله لنا وهو كاف من توكّل عليه، وفوّض الأمور إليه، أن لا طفنا النصر بحصون أربعة لم نوجف عليها ركابا))[1]، وهنا تجد التأكيد على أن الله هو الكافي لمن توكل عليه، وفوض أمره إليه، وهذا يعكس مدى إيمان القاضي الفاضل بالله تعالى، وثقته في نصره، وعبرهذا التوكل تظهر قوة المسلمين، وضعف أعدائهم عن طريق قوله: ((أن لا طفنا النصر بحصون أربعة لم نوجف عليها ركابا))؛ فأن النصر قد تحقق للمسلمين في أربعة حصون، دون أن يكبدوا أنفسهم عناء السفر إليها، والسبب في هذا هو حق التوكل.

إن للتوكل بشارات فقال:((واستطلع من ثنايا التوكل على الله بشائرها: نسبا وحسبا، وجدّا وأبا؛ وحدّا وشبا، ونجدة وضحت مذهبا))[2]، وهذه رسالة واضحة تحمل إشارات البركة الناتجة من التوكل، حتى يصل القاضي الفاضل إلى الإيمان الكلي بالتوكل فقال: ((غاضبا لأمر الله ورضاه على غاية هذا الغاضب،

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي ، ج٧، ص٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٧.

مالت إليه الأجياد، وانثالت عليه البلاد، فانتظمها مدينة مدينة، وجعل التوكّل على الله سبحانه شريعة منيعة وذريعة معينة))، فالتوكل هو المنهج الصحيح الذي يجب توافره عند الإنسان لأنه مشرع فيه من أجل الفلاح .

❖ الإخلاص في الدين والالتزام بأوامره وترك نواهيه والإيمان الحقيقي بالله:

وهو جوهر العبادة، وأساس قبول العمل عند الله تعالى؛ فبواسطته ينجو العبد من عذاب الله تعالى، ويجعله من أهل الجنة قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء: ١٤٦]

ومن هذا المعنى قال القاضي الفاضل: ((ذلكم الله ربّكم لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدّين، منزل الرحمة على كلّ وليّ توكّل عليه، وفوّض إليه، وأتمر لأوامره، وازدجر بزواجره، ومحلّ النّقمة بكلّ عدوّ صدّ عن سبيله وسننه، وصدف عن فرائضه وسننه، وحادّه في مكسب يده ومسعاة قدمه))[1]، وهنا إشارة واضحة تدعو إلى الإخلاص لله والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه وهو سبب السعادة في الدنيا والآخرة؛ لأن المخلصون هم الذين يعيشون في سعادة وطمأنينة، وهم الذين يفوزون بالجنة في الآخرة.

❖ الوحدانية:

((فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلاَ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ من البرية))[2]، فهو الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد خالق كل شيء ومالك كل شيء بيده ملكوت السماوات والأرض، ولهذا كان لزما على الخلائق أن تقر له بالوحدانية، ومن هذا المفهوم قال القاضي الفاضل: ((والشهادة بالوحدانية التي تبلّغ قائلها من رضاه مناه، وتجعل جنّاته لمن أسرّها جنانه مستقرّه ومأواه))[3].

في هذا النص يلحظ أسس العقيدة وهو التوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهي أساس الإسلام وركنه الأعظم، وهذه الشهادة تعني الإقرار بأن الله واحد لا شريك له، وهو المستحق وحده للعبادة؛ فتبلّغ قائلها إلى تحقيق ما يرجوه من رضا الله تعالى، وإن رضا الله هو أعلى درجات السعادة، وهو غاية يسعى إليها كل مسلم.

(١) المصدر نفسه ، ج١١، ص٣٥٦.

(٢) تخريج العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ص٤٤.

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي ، ج١١، ص٣٥٦.

❖ نبذ العصبية[1] والاعتصام والتوحد تحت راية الإسلام:

إن العصبية مذمومة في الإسلام إذ أعدها من أعمال الجاهلية، والاعتصام سبيل النجاة ؛ وإن حبل الله المتين هو سبيل النجاة من الفتن والمحن، وهو الطريق إلى الوحدة، والتوحد تحت راية الإسلام، هي أمور ضرورية لكي تستعيد الأمة عزها، وتعود إلى سابق عهدها؛ فعلى المسلمين أن يعملوا جاهدين لتحقيق هذه الأمور، وأن يسعوا إلى توحيد كلمتهم، وجمع صفوفهم، ليتمكنوا من مواجهة التحديات التي تواجههم، وتحقيق أهدافهم النبيلة، ومن هذه المعاني قال القاضي الفاضل:

((انْتهى إِلَيْنَا أَن بالديار المصرية وبالحضرة الْعلية جمَاعَة من الْفُقَهَاء قد اعتضدوا بِجَمَاعَة من أَرْبَاب السيوف وبسطوا ألسنتهم بالْقَوْل غير الْمَعْرُوف ~~وأنشؤوا من العصبية~~ مَا أطاعوا بِهِ القوى الغضبية وأحيوا بهَا مَا أَمَاتَهُ الله من اهل حمية الْجَاهِلِيَّة وَالله سُبْحَانَهُ يَقُول وَكفى بقوله حجَّة على من كَانَ سميعا مُطيعًا [واعتصموا بِحَبل الله جَمِيعا] ولم يزل التعصب للمذاهب يمْلأ الْقُلُوب بالشحناء ويشحنها وَقد نهى الله عَن المجادلة لأهل الْخلاف فَكيف لأهل الْوِفَاق إِلَّا أَن يُقَال أحْسنهَا وَمَا علمنَا ان فِي ذَلِك نِيَّة تنجد وَلَا مصلحَة تُوجد وَلَا هِدَايَة تعتقد بدراسة تعقد ونارعداوة توقد وقلما أثمرت المشاجرة إِلَّا خلافًا فالمجلس أعزه الله يوعز بكف الْأَلْسِنَة الخائضة وعقل الأعنة الراكضة فَإِن أقنع بِلُطْفِهِ المرضى وَإِلَّا كَانَت همته الرائضة وَمن عَاد بعد الزّجر أبعد عَن مستقره وأزعج وليسع الْخلف مَا وسع السّلف من الْأَدَب وليعلم العَبْد أَنه يكْتب كتابا إِلَى ربه فليفكر فِيمَا كتب وَإِلَى من كتب))[2]

إن العصبية تولد الحقد والكراهية؛ فبوجودها تتوهج نيرانا تأكل الأخضر واليابس، وهذا النص يعبر عن رؤية الإسلام الرافضة للتعصب المذهبي، ويؤكد على أهمية الوحدة والتآخي بين المسلمين

❖ الحج:

إن الحج الركن الخامس من أركان الإسلام، وفيه رحلة إيمانية عظيمة ومتميزة، لما يحتويه من معانٍ دينية عميقة ورموز إيمانية جليلة، ويدخل هذا الركن في الأنساق الدينية وقد كتب القاضي الْفَاضِل رسالة كتبهَا

(١) والعَصَبِيَّةُ: أَن يَدْعُوَ الرجلَ إِلى نُصرةِ عَصَبَتِه، والتَّأَلُّبِ مَعَهُمْ، عَلَى مَنْ يُناوِيهم، ظَالِمِين كانوا أَو مَظْلُومِين. وَقَدْ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِمْ إِذا تَجَمَّعُوا، فإِذا تَجَمَّعُوا عَلَى فَرِيقٍ آخَرَ، قِيلَ: تَعَصَّبُوا....، العَصَبِيُّ مَنْ يُعِين قومَه عَلَى الظُّلْم، العَصَبِيُّ هُوَ الَّذِي يَغْضَبُ لعَصَبتِه، ويُحامي عَنْهُمْ. والعَصَبةُ: الأَقاربُ مِنْ جِهَةِ الأَب، لأَنهم يُعَصِّبونه، ويَعْتَصِبُ بِهِمْ أَي يُحِيطُون بِهِ، ويَشْتَدُّ بِهِمْ، ينظر: لسان العرب، ابن منظور الأنصاري ، ج١، ص٦٠٦.

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: ٦٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج٤، ص٢٢٤.

بِخَطِّهِ إِلَى السُّلْطَان يلْتَمس مِنْهُ الْأذن لَهُ فِي سفر الْحَج فقال: ((بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم كتب الْمَمْلُوك هَذِه الرقعة بعد أَن استخار الله سُبْحَانَهُ من مستهل رَجَب فِي أَكثر لياليه وَإِلَى آخر هَذِه السَّاعَة وَهُوَ يُنْهِي أَنه قد شَارف الْأَرْبَعين وَمَا يدْرِي لَعَلَّهَا عقبَة اللِّقَاء وَفرض الله فِي الْحَج قد تعين ووعد الْمولى بِهِ قد سبق عِنْد أَيْلَة وَمُدَّة الْغَيْبَة قَصِيرَة والنائب ينفذ مَا يحْتَاج إِلَيْهِ فِي السّفر والحضر والثقة بِهِ حَاصِلَة فِي المرادين من الْكَاتِب وهما الكتمان والمعرفة وحظ الْمولى فِي حجه وَالله أَضْعَاف حَظه فِي مقَامه لِأَنَّهُ إِن كَانَ ينفع هُنَا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ ينفع هُنَاكَ فِي الْآخِرَة وَإِن لم يكن أَهلا لِأَن يُسْتَجَاب مِنْهُ فَالله أهل لِأَن يُجيب فِي الْمولى والمملوك فَمَا ثقل قطّ فِي سُؤال وَلَيْسَ لِأَن الْمولى لَا يَقْضِيهَا وَلَكِن لِأَنَّهُ يُغْنِيه عَن السُّؤَال فِيهَا وَهَذِه حَاجَة الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَبعدهَا ينشد

(مَتى يَأْتِ هَذَا الْمَوْت لَا يلف حَاجَة ... لنَفْسِي إِلَّا قد قضيت قضاءها)

وَمَا أَرَادَ الْمَمْلُوك أَن يستشفع بِمن يُشَارك الْمولى فِي الْأجر وَمَا يُرِيد إِلَّا دستورا عَن نفس طيبَة ورضى ظَاهر وباطن وَلَا يُرِيد خلاف الْفَرْض فَمَا يقي لَهُ بِقَضَاء المفترض وَالله الْمعِين برحمته الْحَمد لله وَحده وَصلاَته على سيدنَا مُحَمَّد وَآله وَسَلاَمه)) [1].

هنا يظهر بشكل جلي تكاملاً بين الروح الدينية والمكانة الاجتماعية التي كان يتمتع بها القاضي الفاضل، وقد وضع تأملاته وتفاصيلات لهذه الرحلة في هذه الرسالة مبتدأ باستخارته لله عز وجل قبل اتخاذ قراره، ومرور الزمن الذي قارب فيه سن الأربعين، وهو سنٌّ حاسم في كثير من الثقافات العربية والإسلامية باعتباره نقطة فارقة في حياة الإنسان، ولهذا كانت أهمية الحج له واضحة والأهداف الأساس في حياته، وهذا يتناغم مع حديثه عن الآخرة في المقارنة بين ما يمكن أن يناله الإنسان في الدنيا والآخرة، وكان القاضي حاضرا ومستعدا للموت ولكنه يريد تأدية فريضة الحج قبل مجيئه.

أما الإجابة فكانت ((من كتاب كريم بالخط العالي الناصري أَعْلاَهُ الله ورد بتاريخ السَّابع وَالْعِشْرين من جُمَادَى الأولى سنة أَربع وَسبعين وَخمْس مئة وصلني كتاب القَاضِي الْفَاضِل وَهُوَ يذكر أَنه مصمم على الْحَج الله يَجعله مُبَارَكًا ميمونا وَلَكِن لَا أفسح لَهُ فِيهِ إِلَّا بعد ثِنْتَيْنِ وَاحِدَة أَنه لَا يركب بَحر يسير من الْعَسْكَر إِلَى أَيْلَة وَمِنْهَا يتَوَجَّه وَيُقِيم الْعَسْكَر على أَيْلَة لَيْلَة وعَلى إرم وَدون إرم لَيْلَة وقاطع إرم لَيْلَة فَيكون هُوَ)) [2]

- أما ما ورد من الأنساق الدينية في رسائل القاضي الفاضل والتي توافق السنة النبوية قوله : ((....

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، بأبي شامة ، ج٣، ص٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٣.

ولا عيب في هذه المحاسن إلا قصور الأفهام، وتقصير الأنام، وإلا فقد لهج الناس بها تحتها، ودوّنوا ما دونها، وشغلوا التصانيف والخواطر والأقلام بما لا يقاربها، وسارت الأشعار وطالت بما لا يبلغ مدّها ولا نصيفه...))[1]، ولعل هذا يذكرنا بالحديث الشريف؛ إذ ورد في مسند الإمام أحمد : ((حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنَا بُكَيْرُ بْنُ الْأَشَجِّ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ، أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَحْنُ بِخَيْرٍ أَمْ مَنْ بَعْدَنَا؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُهُمْ أُحُدًا ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِكُمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»))[2]

والنص واضح إذ يشير إلى أصحاب المنزلة الرفعية رفقة الرسول _صلى الله عليه وسلم_ والذين يأتون بعدهم من أجيال لا يصلون منزاتهم، فيلحظ في جملة: (بما لا يبلغ مدّها ولا نصيفه) توافقا مع النص الشريف للمصطفى _صلى الله عليه وسلم_ من حيث المعنى واللفظ، وهذه إشارة إلى الخزين المعرفي بالسنة النبوية أيضا وتأثره بها ، والأنساق الدينية كثيرة في هذه الرسائل ؛ إذ نكتفي بهذا القدر؛ لنوضح بأن القاضي الفاضل على إلمام واسع بالدين فتتجلى الأنساق الدينية في رسائله عبر الاقتباس، لتعزيز فكرة، أو تأييد رأي، أو تزيين كلامه، وكذلك تضمينه معاني قرآنية، أو نبوية؛ إذ ينم عن تبحره في كتاب الله _عز وجل_ وفي حديث الرسول الأكرم _صلى الله عليه وسلم_، وجمال ذوقه؛ لتوضيح المعاني التي يقصدها.

المبحث الثالث
النسق السياسي في رسائل القاضي الفاضل

تكمن الأنساق السياسية في رسائل القاضي الفاضل بين السلطة والخلافة؛ إذ تتعلق بأهمية وجود الحاكم القوي والعادل الذي يتولى شؤون المسلمين، مما تعكس هذه الرسائل طبيعة العلاقات السياسية بين الدول والإمارات في هذه المدة بما في ذلك الحروب والتحالفات والاتفاقيات.

ولابد من الإشارة إلى إن هذه المدة تتمثل في الحملات الصليبية على العالم الإسلامي، والتي انبعثت من الغرب الأوروبي المسيحي؛ فاتخذت شكل هجومٍ حربي استعماري على المسلمين بقصد نهب خيرات الأمة الإسلامية وممتلكاتها؛ إذ دعا البابا أوربان الثاني إلى قصد بلاد المسلمين واحتلالها، بحجة أن المسلمين

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي ، ج٢، ص ٢٧٠.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١ م، ج٣٩، ص٢٥٦.

يسيئون معاملة الحجاج المسيحين إلى الأراضي المقدسة، فوجدت دعوته آذانا صاغية لدى الأوروبيين، والذين وجدوا في تلك الحملات تحقيقاً لحقدهم على المسلمين، ووجدوا فيها مجالاً لتأسيس إقطاعيات جديدة [١]

يلحظ أن الحملات الصليبية إلى البلاد الإسلامية فبلغ عندها ثمانية، أربعة منها اتجهت نحو الأرض المقدسة، وهي الأولى والثانية والثالثة والسادسة، وحملتان اتجهتا نحو مصر، وهما الخامسة والسابعة، وحملة ضد القسطنطينية وهي الرابعة ، والأخيرة نزلت بشمال أفريقيا وهي الثامنة[٢].

وصلت الحملة الصليبية الأولى بقيادة الأمراء والإقطاعيين (٤٩٠ه/١٠٩٧م)، وتراوح عدد جنودها بين ستين ألفاً ومائة ألف، استطاعت تلك الحملة المنظمة أن تسير إلى بلاد الشام، والأراضي المقدسة؛ فأسسوا أربع إمارات وهي الرها، وانطاكية، وطرابلس، ومملكة بيت المقدس، واقتسم القادة تلك الإمارات، ونصب كل منهم نفسه ملكاً على إمارة من تلك الإمارات [٣]، مرتكبين المذابح الوحشية بحق المسلمين، وصلت الحملة إلى بيت المقدس عام(٤٩٢هـ / ١٠٩٩م) واقتحموها مرتكبين مذبحة وحشية، وقد قدر المؤرخون عند القتلى المسلمين في المسجد الأقصى بنحو سبعين ألف مسلم[٤] .

في تلك المرحلة الحرجة التي عانى فيها المسلمون في مصر، وبلاد الشام، من توالي الهزائم والإحباطات؛ فظهر عماد الدين زنكي الذي نادى للجهاد، وكسر الفرنج في الزها وحررها بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوماً سنة(٥٣٩هـ/ ١١٤٤) [٥]كان عمر القاضي الفاضل حينها عشرة أعوام، وكغيرة تفاعل مع انتصارات عماد الدين زنكي، وأصبحت نظرته إلى القائد المجاهد تتمثل في شخصية عماد الدين، ثم في صلاح الدين فيما بعد [٦]

❖ عاصر – القاضي الفاضل الحملة الصليبية الثانية ٥٤٢ _ ٥٤٤هـ/١١٤٧-١١٤٩م، والحملة

(١) ينظر: الحركة الصليبية_ صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي_، سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٩، ج١، ص٢٦.
(٢) ينظر: الحركة الصليبية_ صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي_، سعيد عبد الفتاح عاشور، ج١، ص٢٦.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ج١، ص٢٦.
(٤) ينظر: الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٧م ، ج٩، ص١٩.
(٥) ينظر: المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ)،المطبعة الحسينية المصرية، ط١ ، ج٢، ص٢٢٥.
(٦) ينظر: تاريخ أبي الفداء، ج٢، ص٢٢٥.

الصليبية الثالثة ٥٨٥ ٥٨٨هـ/ ١١٨٩ -١١٩٢م، التي جاءت بعد انتصار المسلمين في حطين وإعادة فتح بيت المقدس ٥٨٣هـ/١١٨٧م. وساهم خلالها بفكره وفنه، إلى جانب صلاح الدين، فكانت كل كتاباته النثرية تدور حول تلك الحروب وشؤونها[١]، وشهد صلاح الدين بدور القاضي الفاضل الفكري، والإداري البارز في استرداد الأراضي المقدسة من أيدي الفرنج، وقال فيه: «لا تظنوا أني فتحت البلاد بسيوفكم، إنما بقلم القاضي الفاضل[٢]

❖ علاقة القاضي الفاضل بصلاح الدين :

استعان صلاح الدين الأيوبي بالقاضي الفاضل في إدارة وزارته في مصر، فجعله وزيره ومستشاره، وأدرك صلاح الدين أن القاضي الفاضل إنسان عظيم عقلاً وعلماً، وفي إمكانه أن يوصله إلى أهدافه في مصر من خلال مصادره الوافرة، وكان الفاضل المتحدث الرسمي بلسان صلاح الدين في الداخل والخارج، وكان أعز عليه من أهله، وولده، فكان لا يقدم على أمر إلا استشاره فيه، ولا يحكم في قضية إلا بتدبيره [٣]، أخذ صلاح الدين يعمل على إعداد جيش أيوبي، ليكون نواة لجيش جديد في مصر، فكان القاضي الفاضل خير دليل لمعرفته التامة بقوات الجيش المصري الفاطمي، من السودان، والأرمن،والمصريين، والديلم، والأتراك، والمريان، ومن طريق عمله في ديوان الجيش وفي ديوان الإنشاء الذي كان يتعامل مع ديوان الجيش ويشرف على العيون، والرمل، فألم بتلك القوات، ولم يبال على صلاح الدين بالمعلومات عنهم، بل وجهه في تنظيم الجيش الأيوبي وإدارته، وساعده في إحلال عناصر جديدة فأحل الأكراد والأتراك محل السودان، والأرمن، والبربر ، وظل طوال مدة عمله مع صلاح الدين يشرف على عساكره، ويراقب إعدادها وتنظيفها ومواردها المالية، ويصحبها من مصر إلى الشام التحارب مع صلاح الدين، ومن الشام إلى مصر لتمتد وتتجهز الحمالاته ضد الفرنج[٤] .

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان،شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ«سبط ابن الجوزي» (٥٨١ - ٦٥٤ هـ) تحقيق وتعليق ابن الجوزي محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، ط١، ٢٠١٣ م ، ج٨، ص٣٠٤.

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي ، ج٨، ص٣٠٤.

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ ،ج١، ص٤٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٤٠٢.

كان القاضي الفاضل من أعظم كتّاب السياسة في عصره، وكانت رسائله مليئة بالحكمة والدبلوماسية، وتعكس فهمًا عميقًا لأمور الحكم والإدارة، وفيما يلي بعض النماذج من رسائله التي تحمل الأنساق السياسية:

أ- النسق السياسي والإداري في نصح الحاكم :

وفي هذا النسق تجد النصيحة جزءاً أساسياً من الأدب السياسي في الإسلام؛ إذ يسعى الناصح إلى تقديم رؤيته ومشورته للحاكم، بهدف تحقيق الصلاح والعدل في المجتمع، وتتضمن هذه النصائح، في كثير من الأحيان، توجيهات تتعلق بالحزم والعدل، باعتبارهما من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الحاكم، ومن كتب القَاضِي الْفَاضِل لِابْنِ منقذ يَأْمُرهُ بِالسَّفرِ إِلَى الْمغرب بِأَمْر الْملك النَّاصِر صَلَاح الدّين يستنصر بِملك الْمغرب يَعْقُوب بن يُوسُف بن عبد الْمُؤمن لما حصر الفرنج عكا بعد كسرة حطين وَفتح بَيت الْمُقَدّس فقال: ((بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم الْأَمِير الْأَجَل الاسفهسلار[1] الْأَصِيل الْعَالم الْمُحْتَرَم شمس الدّين عدَّة الْإِسْلَام جمال الْأَنَام تَاج الدولة أَمِين الْمِلَّة صفوة الْمُلُوك والسلاطين شرف الْأُمَرَاء مقدم الْخَوَاص أدام الله توفيقه وَيسر طَرِيقه وأنجح مقْصده وأعذب مورده وحرس مغيبه ومشهده وأسعد يَوْمه وغده تستخير الله سُبْحَانَهُ وتتوجه كَيْفَمَا يسر الله إِلَى الْجِهَة الإسلامية المغربية حرس الله جَانبهَا وَنصر كتائبها ومراكبها وتستقري فِي الطَّرِيق وَفِي الْبِلَاد من أَخْبَار الْقَوْم فِي أَحْوَالهم وآدابهم وأخلاقهم وأفعالهم وَمَا يحبونه من القَوْل نزره أَو جمه وَمن اللِّقَاء منبسطه أَو منقبضه وَمن الْقعُود بمجالسهم مخففه أَو مطوله وَمن التَّحِيَّات المتهاداة بَينهم مَا صيغته وَمَا موقعه وَهل هِيَ السّنَن الدِّينِيَّة أَو العوائد الملوكية))[2]

إن النسق السياسي والإداري في نصح الحاكم، كما يظهر في هذا النص، يتجلى عبر مجموعة من المبادئ التي تهدف إلى المحاور الآتي:

- أهمية استقراء أخبار القوم في الطريق والبلاد المجاورة، وهو مفهوم يعكس دور الحاكم في متابعة القوم استقرائيا _كما أشار في النص_؛ من أجل معرفة أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويُعد هذا جزءًا مهما، إذ يكون الحاكم عبرها على دراية بالواقع، مما يساعده في اتخاذ قرارات صائبة.

(١) الأسفهسلار هو لقب عسكري وإداري رفيع المستوى، كان يُستعمل في بعض الدول الإسلامية في العصور الوسطى، وخاصة في المشرق، ويتكون اللفظ من مقطعين: «أسفه» وهي فارسية بمعنى «المقدم»، و«سلار» وهي تركية بمعنى «الجند»، فيكون المعنى العام: «مقدم الجند» أو «قائد الجيوش»، اصطلاحاً: يُطلق على القائد العام للجيش، أو المسؤول عن شؤون الجيش وإدارته، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٤، ج٧، ص١٥٥.

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبي شامة ، ج٤، ص١٩٠.

- الاهتمام بالأخلاق والسلوك العام عبر ضرورة مراقبة الآداب، والأخلاق، والأفعال، وهو عنصر أساس ؛ إذ يعكس مدى تأثير القيادة على المجتمع مما يعطي صورة كاملة للقاضي وللخليفة عن انطباعاتهم وهنا يدخل الجانب النفسي وهذا يحسب من ذكاء القاضي الفاضل ومن يمثلهم؛ لأن الأخلاق السياسية تلعب دورًا حاسمًا في السيطرة.
- الأبعاد الإدارية في النص يمثل جانبًا مهمًا عبر المتابعة المستمرة للأوضاع من أجل في صنع القرار.

٢. النسق السياسي والعسكري في تعظيم مكانة الجند والجيش وانكسار العدو:

لطالما كان الجيش ركيزة أساسية في بناء الدولة واستقرارها؛ إذ يشكل النسق السياسي والعسكري إطارًا متكاملاً لضمان قوة الدولة وهيبتها، ويتجلى هذا النسق في رسائل القاضي الفاضل إذ قال: ((واستقبلنا يَوْم الْخَمِيس نقب القلعة وَتَقْدِيم المنجنيق وتيسير السَّبِيل لِلْقِتَالِ وتخليص الطَّرِيق هَذَا والكسوب والنهوب قد امتارت مِنْهَا العساكر وَخرجت فِيهَا مكنونات الذَّخَائِر وأشبه الْيَوْم يَوْم تُبلى السرائر وطهر الأَرْض مِنْهُم بِالدَّمِ الهائر فَلَمَّا كَانَ بكرَة الْجُمُعَة وردتنا الْأَخْبَار بِأَن الْملك قد زحف من غَزَّة فِي فارسه وراجله ورامحه ونابله وحشود دياره وجنود أنصاره فَرَكِبْنَا مستبشرين بزحفه موقنين بحتفه ولقيناه فأحطنا من بَين يَدَيْهِ وَمن خَلفه وناوشته الْخَيل الطِّراد وَأَحْدَقَتْ بِهِ أحداق الأغلال بالأجياد وانتظرت حَملته الَّتِي كَانَ لَهَا قبل ذَلِك الْيَوْم موقع وصدمته الَّتِي لَهَا من رجال الْحَرْب مَوضِع فَمَلأَ الله قلبه رعْبًا وثنى صدقه كذبا وَلم يزل يحاتل وَلَا يُقَاتل ويواصل الْمسير وَلَا يصاول))[1].

يُظهر هذا المقطع تصورًا استراتيجيًا للحرب عبر التركيز على الجانب التقني والعسكري في المعارك الذي يمثل هيبة الجيش وسطوته، خاصة عبر استخدام المنجنيق الذي يعد أحد أدوات الحصار الرئيسية، حيث مكّن الجيوش من تدمير الأسوار والقلاع وضرب التحصينات المعادية، وكذلك قوة الدولة في تيسير السبل للقتال وتخليص الطريق عن طريق التخطيط العسكري بتهيأة الأرض قبل المواجهة وإزالة العقبات التي قد تعيق تقدم الجند، وذلك بإقامة الجسور أو تعبيد الطرق لمرور العساكر والمعدات الحربية الثقيلة كالمجانيق وغيرها، وقد وصف هذا اليوم في القتال ب(يوم تبلى السرائر)، وكأنه يوم القيامة أو لحظة الحقيقة في ساحة المعركة، حيث تُكشف النوايا، ويُختبر الرجال في شجاعتهم وثباتهم، مما يمنح المحاربين حافزًا معنويًا قويًا للثبات.

ومن رسائله أيضا: ((قد أعلمنَا الْمجْلس أَن العدوَّ خذله الله كَانَ الحلبيون قد استنجدوا بصلبانهم

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبي شامة ، ج٢، ص١٨٦.

واستطالوا على الْإِسْلاَم بعدوانهم وَأَنه خرج إِلَى بلد حمص فوردنا حماة وأخذنا فِي تَرْتِيب الأطلاب لطلبه ولقاه فَسَار إِلَى حصن الأكراد مُتَعَلقا بحبله مفتضحاً بحيله وَهَذَا فتح تفتح لَهُ أَبْوَاب الْقُلُوب وظفر وَإِن كَانَ قد كفى الله تَعَالَى فِيهِ الْقِتَال المحسوب فَإِن الْعَدو قد سَقَطت حشمته وانحطت فِيهِ همته وَولى ظهرا كَانَ صَدره يصونه ونكسّ صليبا كَانَت ترفعه شياطينه))[1]

إن تعظيم مكانة الجيش في الدفاع والهجوم في قوله : ((فوردنا حماة وأخذنا في ترتيب الأطلاب لطلبه ولقاه))، وهنا يلحظ التخطيط العسكري الدقيق الذي يُظهر أهمية التنظيم والانضباط في الجيوش؛ إذ لم يكن الهجوم عشوائيًا، بل اعتمد على ترتيب الأطلاب (الفرق العسكرية)؛ لتحقيق الهدف المنشود، مما نتج عنه أثر الانتصارات في إضعاف العدو ورفع هيبة الدولة في قوله: ((فسار إلى حصن الأكراد متعلقًا بحبله مفتضحًا بحيله))؛ إذ يُبرز هروب العدو كعلامة ضعف، مما يرفع مكانة الجيش المنتصر، مؤكدا على التفوق العسكري والمعنوي.

❖ ومن صور الجيش وسطوته تجد في (غزوة بحرية سنة ٥٧٥هـ) رسالة القاضي الفاضل إذ قال: ((...واحتلت بِهِ الرِّجَال الَّذين يعْملُونَ فِي الْبَحْر ويفتكون فِي الْبر وَمن هُوَ مَعْرُوف من المغاربة لغزو بِلاَد الْكفْر فسارت على سوار هِيَ كنائن إِلَّا أَنَّهَا تمرق مروق السِّهَام ورواكد هِيَ مَدَائِن إِلَّا أَنَّهَا تمر مر السَّحَاب غير الجهام فَلاَ أعجب مِنْهَا تسمى غربانا وتنشر من ضلوعها أَجْنِحَة الْحمام وَتسَمى جواري وَكم مُبشر مجريها من النَّصْر بِغُلاَم وباتت جَمِيع الفرنج محترسة وغدت مترسة فَمَا هِيَ إِلَّا أَن حذفت والجة على المينا وَفِيه المراكب والبضائع فاستولت على عدَّة من المراكب تحطيما وتكسيرا ونطاحا يقلقل وَلَو كَانَ ثبيرا وأخلت سَاحل الفرنج بقتالها وباشرت مثل المَاء بنزولها ونزالها وَهَذَا مِمَّا لم يعْهَد من الأسطول الإسلامي مثله فِي سالف الدَّهْر لَا فِي حَالَة قُوَّة إِسْلاَم وَلَا ضعف كفر وَمِمَّا سَبيله أَن تطرز السّير الْكَرِيمَة بفخره كَمَا طرز الله الصَّحِيفَة الشَّرِيفَة بأجره وطوقت فِي الْأَحَد حادي عشر جُمَادَى الأولى ميناء عكا وَهِي قسطنطينية الفرنج وَدَار كفرهم أبدلها الله من الْكفْر إسلاما وخلع عَنْهَا الشّرك الْبَالِي وخلع عَلَيْهَا من التَّوْحِيد أعلاما، وَكَانَت مفروسة فَأَصْبَحت مفترسة))[2]

يُشير هذا النص إلى دور المقاتلين وقوتهم العسكرية، سواء أكانت في المعارك البحرية أم البرية، وصورة مرورهم شبهها بسرعة مرور السهام إشارة إلى السرعة في الطعن، وكذلك استعار السحاب والطيور

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبي شامة، ج٢، ص٣٥٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٥.

للإشارة إلى الجيوش الإسلامية في مواجهة الفرنج ، وقوله: ((مر السحاب غير الجهام)) يلحظ فيه الغيث المحمل بالأمطار وليس السحاب الفارغ، مما يرمز إلى الجيش القوي الذي يحمل النصر والخير، لا مجرد تهديد زائف، وهي صورة ترمز إلى أن السحاب هي الفتوحات العسكرية التي تجلب الخير والهيبة للإسلام، وفي هذا الفتح خلع عن هذه المدينة الكفر وأبدلها الله بالإسلام، وقوله: ((وَكَانَت مفروسة فَأَصْبَحت مفترسة)) إذ تحمل إيحاءات بالقوة والصعود السياسي والعسكري، مما يجعلها مثالية لوصف التحولات الاستراتيجية في التاريخ ، بسبب حالة ضعفهم وخوفهم من المسلمين وهذا التهديد الخارجي كان إيجابيا للمسلمين فأصبحت مفترسة، أي أنها اكتسبت المسلمين القوة وتحولت من مواقعهم الدفاع إلى الهجوم.

❖ صورة العدو:

غالبا ما يظهر القاضي الفاضل العدو بصورة المنكسر المنهزم في أغلب رسائله منها قوله: ((وأسارى الفرنج الَّذين أَيْديهم إِلَى أَعْنَاقهم مَجْمُوعَة فَإِن الفضاء الفضي تعصفر من دِمَائِهِمْ وَتذهب وَجرى مِنْهَا مَا بِهِ اضطرم وَقد الْجَحِيم وتلهب وَفِي الْحَال أمرنَا بالنَّار أَن تشتغل بهَا وتشتعل وبالهدم أَن ينْقل عَنْهَا معاوله وينتقل {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ} أَو تنظر إِلَّا طلولا على عروشها خاوية، وعراصا من سكانها خَالِيَة قد بقيت عِبْرَة للعابر وذكرى للذاكر وموعظة سارة للْمُسلم مرغمة للْكَافِر))[1]

يعكس هذا النص مشهدًا دراميًا قويًا لانتصار المسلمين على الفرنج (الصليبيين)، إذ تظهر فيه صور الدمار، والقوة الإسلامية، وتحطيم العدو بشكل شامل؛ فتجد الأسرى والمذلة في قوله : ((وأسارى الفرنج الذين أيديهم إلى أعناقهم مجموعة)) ؛ إذ يُصوَّر الأسرى وقد قُيِّدت أيديهم إلى أعناقهم، مما يعكس فقدانهم للقوة والاستسلام الكامل، ثم يقول فهل ترى لهم من باقية، وهذه العبارة تؤكد الفناء التام للعدو؛ إذ استعمل النص اقتباسًا قرآنيًا ليربط بين هلاك الأمم السابقة وهلاك الفرنج، وقوله: ((أو تنظر إلا طلولا على عروشها خاوية، وعراصا من سكانها خالية))، وهذا الوصف يرسّخ فكرة تفوق المسلمين على الصليبيين في هذه المعركة.

وفي نص آخر يقابل هذا النسق فقال: ((وَقد تكَرر القَوْل فِي معنى أُسَارَى بَحر الْحجاز فَلاَ تذر على الأَرْض من الْكَافرين ديارًا وَلَا توردهم بعد مَاء الْبَحْر إِلَّا نَارا فأقلهم إِذا بَقِي جنى الْأَمر الأصعب وَمَتى لم تعجل الرَّاحَة مِنْهُم وعدت الْعَاقِبَة بالأشق الأتعب))[2].

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبي شامة ، ج٢، ص١٨٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص١٨٣.

ويلحظ صورة الهزيمة الشاملة والعقاب الإلهي إذ تجد وصفًا حربيًا على الاستئصال الكامل للعدو، فيظهر تكرار فكرة الهزيمة، ومعاقبة الكافرين، مما ينسجم مع التصورات الدينية والتاريخية للأحداث الحربية، ويُظهر العدو كقوة مهزومة لا يمكن له أن ينجو.

ويلحظ فِي كتاب القاضي معاقبة الفرنج ولاسيما فكرة نار الدنيا قبل الآخرة إذ ورد في رسالة له: ((أَنه لما كَانَ عَشِيَّة الْخَمِيس تَاسِع ذِي الْحجَّة هلك مرّي ملك الفرنج لَعنه الله وَنَقله إِلَى عَذَاب كاسمه مشتقا وأقدمه على نَار تلظى {لَا يصلاها إِلَّا الأشقى}))[1].

يظهر النص تأكيدًا قويًا للهلاك الإلهي للعدو؛ إذ يتم تصوير موت ملك الفرنج (الصليبيين) بشكل دراماتيكي، وينتقل النص من التصوير العسكري إلى التصوير الديني الذي يعكس فكرة القصاص الإلهي؛ فتجد التوقيت الخاص للحدث، وهو عشية الخميس في تاسع ذي الحجة، وهي مناسبة ذات دلالة دينية مهمة؛ لأنها تزامنت مع موسم الحج، الذي يعد رمزًا للتوبة والبركة والرحمة الإلهية، وكان اختيار هذا الوقت قد يُقصد به في الرسالة ربما تأكيد أن الهلاك الذي وقع لملك الفرنج كان بمثابة عقاب إلهي في وقت ذو قدسية خاصة، والنار والعذاب هما الوعيد الإلهي للمكذبين، ولاسيما في قوله: ((وأقدمه على نار تلظى لا يصلاها إلا الأشقى))، هنا جاء بتصوير العذاب في الآخرة، حيث يُقدم المجرم على نار جهنم، وهي نار تتوهج بشدة، ما يعكس شدة العقاب الذي سيواجهه في الآخرة ليناسب بهذا الوصف مري ملك الفرنج تنكيلا وإهانة .

٣. السياسة بالتعامل مع الخصوم عبر الهدنة:

إن التعامل مع الخصوم عبر الهدنة هو جزء أساس من فن السياسة وإدارة الصراعات، وتأتي لوقف القتال لمدة محددة أو مفتوحة، ويمكن أن تكون أداة قوية لتحقيق السلام والاستقرار، من هذا المعنى تجد القاضي الفاضل قد كتب في الهدنة مع الفرنج _هدنة الرملة ٥٥٥ه_ فقال: ((وَقد فعلت الأقدار فِي رياضة عرائكهم مَا كَانَ سَببه هَذِه الحركات الْمُبَارَكَة وَكَيف يشنع ملك إنكلتير بالغدر وَهُوَ – لَعنه الله – قد أَتَى بأقبح الْغدر وأفحشه فِي أهل عكا نَهَارا جهارا وَشهد فِيهَا بخزيته وفضيحته الْمُسلمُونَ وَالنَّصَارَى وغدر الفرنج مَعْلُوم إِذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ... وَمن عهدها أَن لَا يَدُوم لَهَا عهد الْقَوْم هادنوا لما ضعفوا ويفسخون إِذا قووا وَنحن نَنْتَظِر فِي ملك إنكلتير مَا تفصح عَنهُ الْمَقَادِير فِي أمره إِمَّا الْهَلَاك وشاباش لَهَا فَيلقى الْأَحِبَّة المركيس ودوك وَملك الألمان وَيُؤْنس فِي النَّار غربتهم وَيكثر

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبي شامة ، ج٢، ص٣٣٢.

عدتهمْ وَإِمَّا أَن يعافى وَالْعِيَاذ بِاللَّه فَهُوَ بَين أَمريْن إِمَّا أَن يرجع إِلَى لعنة الله وَإِلَى مُرُوءَة الْبَحْر فِي تغريقه وَإِمَّا أَن يُقيم فهنالك قد أبدى الشَّرّ)) (١).

إن الهدنة قد سمحت بوقف مؤقت للقتال؛ لخلق الحوار والتفاوض بين الأطراف المتنازعة، وبالتالي هي من الفنون التي امتلكها جيش المسلمين إذ تجد الحكمة والدراية؛ إذ تجد إعطاء الفرنج فرصة لينقذوا أنفسهم، فضلا عن صورة التمكين لجيش المسلمين، ومن النصوص الأخرى تجد القاضي الفاضل يستخف لعقول الفرنج سنة (١١٢٦ه) فقال: ((وَقد علم الله سُبْحَانَهُ أَنا لهدنتهم كَارِهُون وَفِي مصلحَة أهل الْإِسْلَام وَفِي مصالحهم راغبون وَلَكنَّا قد بلينا بِقوم كالفراش أَو أخف عقولا وكالأنعام أَو أضلّ سَبِيلا إِن بني مَعَهم فعلى غير أساس وَإِن عدد الْغدر مِنْهُم فَهُوَ أَكثر من الأنفاس)) (٢)، وهذه صورة العدو الذي لا لب له فيما أقبل عليه من مهالك أمام جيش المسلمين.

٤. الجهاد في سبيل الله: ورفع الهمة:

يعد الجهاد في سبيل الله من أبرز المواضيع التي تتناولها رسائل القاضي الفاضل؛ إذ يحث على الجهاد ويشيد بالمجاهدين، ويصف الانتصارات التي حققها صلاح الدين الأيوبي في حروبه ضد الصليبيين، فضلا عن دعواته إلى المسلمين للتحشيد للجهاد، وتعبئة الطاقات لمواجهة الأعداء، وأظهرت هذه الثوابت الدعم في تحقق الانتصارات والفتوحات المستمرة التي حققها صلاح الدين الأيوبي في حروبه ضد الصليبيين في استعادة الأرض إلى المسلمين، ومن هذه الانتصارات جاء في رسالة له قال فيها: ((أوّل الْكتاب {فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وفَضْلٍ لَمْ يمسسهم سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَان اللهِ واللهِ ذُو فَضْلٍ عَظِيم}وَفِيه توجهنا من بركَة الْجب يَوْم الْخَمِيس الْخَامِس عشر من ربيع الأول ووصلنا بتاريخ السَّابِع وَالْعِشْرين من الشَّهْر الْمَذْكُور والعساكر بالسهل والوعر منتظمة والهمم على السهل والصّعب مزدحمة وجنود الله فِي الأَرْض الْمُعْلمة قد أيّدتها جنود السَّمَاء المسوّمة وصابحنا الديّر يَوْم الْأَرْبَعَاء بِقِتَال جعل كلّ من فِي حصن الدّير رَاهِبًا ونصبنا عَلَيْهِ منجنيقا لَا يزَال بشهاب الْقَذْف ضَارِبًا فَلَمَّا تَعَالَى النَّهَار ملكنا ربضه وأطلقنا فِيهِ النيرَان ورملنا الرِّجَال بِالدَّمِ وأرملنا النسوان وزحفنا إِلَى أبراجه وَهِي أبراج قد استعدت للبلاء جلبابا فَجعلنَا لكلّ وَاحِد جورة مُفْرَدَة وبابا)) (٣).

ويظهر في هذا النص الجهاد في سبيل الله ورفع الهمة ولاسيما في قوله: ((جنود الله في الأرض)) إذ يشير

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبي شامة ، ج٤، ص٣٢٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٨٥.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٥.

إلى أن المسلمين الذين يجاهدون في سبيل الله تعالى، ويقاتلون لإعلاء كلمته، ولم يتقوف على ذلك بل إن جنود السماء وهم الملائكة الذين يرسلهم الله تعالى لنصرة المسلمين تأييدا لجهادهم، وهذا التعبير يؤكد على أن المسلمين في جهادهم ليسوا وحدهم، بل هم مؤيدون من قبل الله تعالى، وجنوده من الملائكة.

٥. قوة التمكين وبسط الملك:

تعد مفاهيم القوة والتمكين وبسط الملك من المفاهيم الأساسية في الفكر السياسي الإسلامي، إذ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمقاصد الشريعة الإسلامية، وأهداف الدولة الإسلامية، والتمكين يعني القدرة على التصرف، والسيطرة، والنفوذ، ومن هذا المعنى تجد الكثير في رسائل القاضي الفاضل منها قوله: ((ولما خلا ذرعنا، ورحب وسعنا، نظرنا في الغزوات إلى بلاد الكفّار، فلم تخرج سنة إلا عن سنّة أقيمت فيها برّا وبحرا، ومركبا وظهرا، إلى أن أوسعناهم قتلا وأسرا، وملكنا رقابهم قهرا وقسرا، وفتحنا لهم معاقل ما خطر أهل الإسلام فيها منذ أخذت من أيديهم، وما أوجفت فيها خيلهم ولا ركابهم مذ ملكها أعاديهم؛ فمنها ما حكمت فيه يد الخراب، ومنها ما استولت عليه يد الاكتساب، ومنها قلعة بثغر أيلة كان العدوّ قد بناها في بحر الهند، وهو المسلوك منه إليالحرمين واليمن، وغزا ساحل الحرم فسبى منه خلقا، وخرق الكفر في هذا الجانب خرقا، فكادت القبلة أن يستولى على أصلها، ومساجد الله أن يسكنها غير أهلها، ومقام الخليل صلوات الله عليه أن يقوم به من ناره غير برد وسلام، ومضجع الرسول شرّفه الله أن يتطرّقه من لا يدين بما جاء به من الإسلام، ففتح الله هذه القلعة وصارت معقلا للجهاد، وموئلا لسفّار البلاد، وغيرهم من عبّاد العباد؛ فلو شرح ما تمّ بها للمسلمين من الأثر الجليل، وما استدّ من خلاّتهم، وأحرق من زروع المشركين ورعي من غلاّتهم، إلى أن ضعفت ثغورهم، واختلّت أمورهم، لاحتيج فيه إلى زمن يشغل عن المهمات الشريفة لسماع مورده، وإيضاح مقصده))[1]

تشير هذه النصوص إلى أن الغزوات كانت تشن في البر والبحر، باستخدام الوسائل المختلفة، وقد ألحق أعداء الإسلام بخسائر فادحة وكانوا بين قتيل وأسير، فضلا عن التمكين لجيش المسلمين فقال: ((ملكنا رقابهم قهراً وقسراً))، وهنا تجد الخضوع لسلطانهم، وكذلك تجد القاضي يتنوع بجزئيات الأماكن فقال: فتحنا لهم معاقل، وهنا إشارة إلى أن المسلمين قد فتحوا حصوناً وقلاعاً كانت بيد أعدائهم علما أن هذه المعاقل كانت قوية ومنيعة، ولم يتمكن المسلمون من فتحها إلا بعد مدة طويلة.

(١) صبح الأعشى، القلقشندي، ج١٣، ص ٩١.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الموجزة في عالم رسائل القاضي الفاضل، يمكننا أن نخلص إلى جملة من النتائج المهمة التي تؤكد مكانة هذا الرجل في تاريخ الأدب العربي، وتبرز دوره في حفظ جزء هام من تاريخنا الثقافي والسياسي، وكانت بحسب الآتي:

١. إن الأنساق الثقافية المتنوعة في رسائل القاضي الفاضل إذ تقدم لنا صورة واضحة عن عصره؛ فقد تنوعت لتشمل الدين، والسياسة، والأدب، والفكر، مما يعكس مدى اتساع مداركه، وتنوع اهتماماته.

٢. النسق الديني المهيمن يظهر بوضوح عبر تأثره بالدين الإسلامي ، وعلى رؤيته للأمور؛ فقد تجلى ذلك في استعماله الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، في رسائله، وكذلك تركيزه على القيم والأخلاق الإسلامية.

٣. النسق السياسي في رسائل القاضي الفاضل يظهر بعداً سياسياً مهما إذ يقدم لنا رؤيته للحكم، والعدل، وأهمية الحفاظ على الأمن والاستقرار، كما يكشف عن علاقاته الوثيقة بالخلفاء والأمراء، ودوره في تقديم النصح والمشورة لهم.

٤. تعد رسائل القاضي الفاضل مصدراً تاريخياً مهما إذ قدمت معلومات قيمة عن الأحداث السياسية، والاجتماعية، والثقافية، التي كانت سائدة في عصره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الأنساق الثقافية بين النظرية والتطبيق من منظور عبد الله الغذامي ، بو غديري دليلة، رسالة ماجستير ، جامع محمد فيض بسكرة – الجزائر ، ٢٠١٩.

٢. تاريخ الأديان وفلسفتها، طه الهاشمي،دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٣م.

٣. تخريج العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ.

٤. التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية : محمد مفتاح ، المركز العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦.

٥. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١ ، ١٤٢٣ هـ.

٦. تكملة الإكمال، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، تحقيق: عبد القيوم عبد ريب النبي، جامعة أم القرى مكة المكرمة ، ط١، ١٣٩٩ه.

٧. الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (ت: ٣٩٠هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.

٨. جوانب من حضارة العراق_ العراق في التاريخ_، نخبة من الباحثين العراقيين، دار الحرية ، بغداد، ١٩٨٣م.

٩. الحركة الصليبية_ صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي_، سعيد عبد الفتاح عاشور، ج١، ص٢٦.

١٠. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨ م.

١١. الرسائل السياسية، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت،د.ط.

١٢. الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي،غانم جواد رضا، المكتبة الوطنية، ١٩٧٨م.

١٣. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبو شامة ، شهاب الدين،عبد الرحمن بن إسماعيل،الشافعي الدمشقي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١ط،١٩٩٧م، .

١٤. سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(ت: ٧٤٨هـ)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م .

١٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٦. عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: ٦٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٧. القراءة النسقية_ سلطة البنية ووهم المحايثة_، أحمد يوسف، منشورات الأختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧.

١٨. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

١٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ .

٢٠. اللسانيات النشأة والتطوير، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، د.ط، ٢٠٠٢.

٢١. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م.

٢٢. المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت: ٧٣٢هـ)،المطبعة الحسينية المصرية، ط١ .

٢٣. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان،شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْ أُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ – ٦٥٤ هـ) تحقيق وتعليق ابن الجوزي محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠١٣ م.

٢٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١ م.

٢٥. معجم العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، مصر، د. ط، د.ت.

٢٦. المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، (د . ط) ، ١٩٨٢.

٢٧. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ، المكتبة الإسلامية اسطنبول ، ج١، ط١ ، د ت.

٢٨. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

٢٩. النقد الثقافي _قراءة في الأنساق الثقافية_، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٥.

٣٠. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد

الأرناؤوط وتركي مصطفى ، ٢٠٠٠م.
٣١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٤.

Sources and References

• The Holy Quran.

1. Cultural Systems between Theory and Practice from the Perspective of Abdullah Al-Ghadami, Bu Ghadiri Dalila, Master's Thesis, Muhammad Fayd Mosque, Biskra - Algeria, 2019.
2. History and Philosophy of Religions, Taha Al-Hashemi, Dar Maktabat Al-Hayat, Beirut, 1963.
3. Graduation of the Tahawi Creed, Abu Jaafar Ahmad bin Muhammad bin Salamah bin Abdul Malik bin Salamah Al-Azdi Al-Hajri Al-Masry, known as Al-Tahawi (d. 321 AH), Explanation and Commentary: Muhammad Nasir Al-Din Al-Albani, Islamic Office - Beirut, 2nd ed., 1414 AH.
4. Similarities and differences towards a comprehensive methodology: Muhammad Miftah, Arab Center, Beirut, 1st edition, 1996.
5. Interpretation of Muqatil bin Sulayman, Abu al-Hasan Muqatil bin Sulayman bin Bashir al-Azdi al-Balkhi (d. 150 AH), edited by: Abdullah Mahmoud Shahata, Dar Ihya al-Turath, Beirut, 1st edition, 1423 AH.
6. Supplement to the Completion Abu Bakr Muhammad bin Abdul Ghani al-Baghdadi, edited by: Abdul Qayyum Abdul Rib al-Nabi, Umm al-Qura University, Makkah al-Mukarramah, 1st edition, 1399 AH.
7. The righteous and sufficient companion and the sincere and healing friend, Abu al-Faraj al-Mu'afi bin Zakariya bin Yahya al-Jariri al-Nahrawani (d. 390 AH), edited by: Abdul Karim Sami al-Jundi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 2005.
8. Aspects of the Civilization of Iraq_ Iraq in History_, a group of Iraqi re-

searchers, Dar al-Hurriyah, Baghdad, 1983.

9. The Crusader Movement_ A Bright Page in the History of Islamic Jihad_, Saeed Abdel Fattah Ashour, Vol. 1, p. 26.

10. Diwan Al-Mubtada' wa Al-Khabar fi Tarikh Al-Arab wa Al-Barbar wa Man Asarahum min Dhat Al-Akbar, Abd Al-Rahman bin Muhammad bin Muhammad, Ibn Khaldun Abu Zayd, Wali Al-Din Al-Hadrami Al-Ishbili (d. 808 AH), Investigator: Khalil Shahada, Dar Al-Fikr, Beirut, 2nd ed., 1988 AD.

11. Political Letters, Amr bin Bahr bin Mahbub Al-Kinani by loyalty, Al-Laythi, Abu Othman, known as Al-Jahiz (d. 255 AH), Dar and Library of Al-Hilal, Beirut, n.d., n.d.

12. Technical Letters in the Islamic Era until the End of the Umayyad Era, Ghanem Jawad Reda, National Library, 1978 AD.

13. Al-Rawdatayn in the News of the Two States of Nur and Salah, Abu Shama, Shihab al-Din, Abd al-Rahman bin Ismail, al-Shafi'i al-Dimashqi, Al-Risala Foundation, Beirut, 1st ed., 1997.

14. Biographies of the Nobles, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Uthman bin Qaymaz al-Dhahabi (d. 748 AH), Dar al-Hadith, Cairo, 2006.

15. Subh al-A'sha in the Art of Composition, Ahmad bin Ali bin Ahmad al-Fazari al-Qalqashandi then al-Qahiri (d. 821 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, n.d.

16. Uyun al-Rawdatayn in the News of the Two States of Nur and Salah, Abu al-Qasim Shihab al-Din Abd al-Rahman bin Ismail bin Ibrahim al-Maqdisi al-Dimashqi known as Abu Shama (d. 665 AH), edited by: Ibrahim al-Zaybaq, Al-Risala Foundation, Beirut, 1st ed., 1997.

17. Systemic Reading_ The Authority of Structure and the Illusion of Coexistence_, Ahmed Youssef, Ikhtilaf Publications, Algeria, 1st ed., 2007.

18. Al-Kamil fi al-Tarikh, Abu al-Hasan Ali bin Abi al-Karm Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim bin Abdul Wahid al-Shaibani al-Jazari, Izz al-Din Ibn al-Athir (d. 630 AH), edited by: Omar Abdul Salam Tadmuri, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut - Lebanon, 1st ed., 1997.

19. Lisan al-Arab, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifi al-Ifriqi (d. 711 AH), Dar Sadir - Beirut, 3rd ed.

20. Linguistics: Origin and Development, Ahmed Momen, Diwan of University Publications, Ben Aknoun, 1st ed., 2002.

21. Mukhtar Al-Sihah, Zain Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qadir Al-Hanafi Al-Razi (d. 666 AH), Investigator: Youssef Al-Sheikh Muhammad, Al-Asriya Library, Beirut, 5th ed., 1999.

22. Al-Mukhtasar fi Akhbar Al-Bashar, Abu Al-Fida Imad Al-Din Ismail bin Ali bin Mahmoud bin Muhammad bin Omar bin Shahinshah bin Ayoub, King Al-Muayyad, the ruler of Hama (d. 732 AH), Al-Husayniya Egyptian Press, 1st ed.

23. Mirror of Time in the Histories of Notables, Shams al-Din Abu al-Muzaffar Yusuf bin Qiz Ughli bin Abdullah known as "Sabt Ibn al-Jawzi" (581-654 AH), edited and annotated by Ibn al-Jawzi Muhammad Barakat, Kamil Muhammad al-Kharrat, Ammar Rihawi, Muhammad Radwan Arqsousi, Anwar Talib, Fadi al-Maghribi, Radwan Mamo, Muhammad Mu'taz Karim al-Din, Zaher Ishaq, Muhammad Anas al-Khan, Ibrahim al-Zaybaq, Dar al-Risalah al-Alamiyah, Damascus - Syria, 1st ed., 2013 AD.

24. Musnad of Imam Ahmad bin Hanbal, Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad al-Shaibani (d. 241 AH), edited by: Shu'ayb al-Arna'ut - Adel Murshid, and others, supervised by: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, Dar al-Risalah, 1st ed., 2001 AD.

25. Mu'jam al-Ain, Abu Abd al-Rahman al-Khalil bin Ahmad bin Amr bin Tamim al-Farahidi al-Basri (d. 170 AH), edited by: Dr. Mahdi al-Makhzoumi, Dr.

Ibrahim al-Samarra'i, Hilal Library, Egypt, n.d., n.d.

26. Philosophical Dictionary, Dr. Jamil Saliba, Dar al-Kutub al-Lubnani, Beirut, (n.d.), 1982.

27. Al-Mu'jam al-Wasit, Ibrahim Mustafa and others, Islamic Library, Istanbul, vol. 1, 1st ed., n.d.

28. Sermons and Considerations in Mentioning Plans and Monuments, Ahmad bin Ali bin Abd al-Qadir, Abu al-Abbas al-Husayni al-Ubaidi, Taqi al-Din al-Maqrizi (d. 845 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1418 AH.

29. Cultural Criticism - A Reading in Cultural Systems -, Abdullah Al-Ghadami, Arab Cultural Center, 2nd ed., 2005.

30. Al-Wafi bil-Wafiyat, Salah Al-Din Khalil bin Aybak bin Abdullah Al-Safadi (died: 764 AH), edited by: Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa, 2000 AD.

31. Deaths of Notables and News of the Sons of the Time, Abu Al-Abbas Shams Al-Din Ahmed bin Muhammad bin Ibrahim bin Abi Bakr bin Khallikan Al-Barmaki Al-Irbili (died: 681 AH), edited by: Ihsan Abbas, Dar Sadir, Beirut, 1994.